الباب الثاني

كيف انتشرت المسيحية؟

* كيف انتشرت المسيحية في الإمبراطورية الرومانية؟
* كيف انتشرت المسيحية في أوروبا؟
* المسيحية والسيف.

obeikandl.com

obeikandl.com

كيف انتشرت المسيحية

تمهيد:

انقضى نحو ثلاثة قرون عقب رفع المسيح، شهدت فيها رسالته عوامل شتى، وتعرضت لتيارات مختلفة، أثرت فيها بعمق وفرقتها شيعا وأحزابا. ونستطيع إلقاء نظرة سريعة على أهم العوامل التي أثرت في رسالة المسيح، فنجدها تسير تاريخيا كالآتي:

١ـ ظهور بولس في فترة تقدر ببضع سنين عقب رحيل صاحب الرسالة ومعلمها الحقيقي والأوحد،حيث جعل نفسه مبشرها الأول، وطبع عليها من فكره وفلسفته ما حولها من مسيحية إلى صليبية. وقد عرضنا لذلك منذ قليل.

٢ـ ظهور أدعياء كثيرين يتحدثون باسم المسيح باعتبارهم رسله إلى الناس، وقد أشار إليهم بولس في قوله: «هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح – (٢) كورنثوس ١١: ١٣».

وكذلك ظهور أدعياء كثيرين يتحدثون عن المسيح ويؤلفون أناجيل، يزعم كل منهم أن ما سطره إنما هو إنجيل المسيح وقصصه وبشارته. ولقد أشار إليهم لوقا كاتب الإنجيل الثالث – وسفر أعمال الرسل – حيث يقول في مقدمة إنجيله:

«إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا معاينين وخداما للكلمة. رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به – لوقا١: ١-٤».

ويكفي التذكرة بأن اثنين من الأناجيل الأربعة التي قبلتها السلطات الكنسية واعتبرتها قانونية، قد نسب اثنان منها إلى اثنين من معاصري الجليل الثاني بعد المسيح،ولم يكن لهما شرف التعرف عليه أو التلقي منه مباشرة، ألا وهما: مرقس كاتب أقدم الأناجيل، ثم لوقا كاتب الإنجيل الثالث.

٣- انهيار قوة كنيسة أورشليم – مجمع تلاميذ المسيح- وما تميزت به من المحافظة على عقيدة التوحيد واحترام ناموس موسى وكتب الأنبياء، بجانب اعتبارها الشاهد المعاصر للمسيح والمرجع الوحيد في كل ما يختص برسالته.

٤- ظهور مركيون – تلميذ بولس- الذي حاول جمع عدد من الكتب المسيحية معا لكي تستأصل نفوذ أسفار العهد القديم، فصنف عهدا جديدا اقتصر على لوقا ورسائل بولس ومن بينها رسالته إلى أهل غلاطية،وهي معروفة بنقدها المر للناموس.

لقد كان لمركيون هذا آراء إجرامية، فقد اعتقد بأن «إله اليهود الذي أعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم، كان في الحقيقة إلها شريرا!!..

أما إله المحبة فقد ظهر في المسيح. ولقد وضع مركيون إله المحبة في تعارض مع خالق العالم».

كذلك اعتق مركيون «أن الاثنى عشر رسولا الذين اختارهم المسيح لم يفهموه..

ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلا يخالف إنجيل بولس، فقد اعتقدوا خطأ أن إله الخلق هو أب ليسوع المسيح.. من أجل ذلك فإن المسيح ألهم بولس بوحي خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله عن طريق التزوير»[1]

٥- ظهور فرق مسيحية متنافرة، يدعي كل منها أنه على الحق وأن ما عداها كفر وبدع وهرطقة، وما صاحب ذلك من كثرة المجادلات والزخارف اللفظية حول طبيعة المسيح وحقيقة رسالته، وظهور أول تعبير عن التثليث في المجادلات المسيحية (ترتليان حوالي ٢٠٠م).

٦ـ زيادة حدة الانقسامات الدينية بين الفرق المسيحية، وأثر ذلك في إشاعة الفوضى والاضطراب في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، مما دعا الإمبراطور قسطنطين إلى التدخل حفاظا على الوحدة السياسية، حيث عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥م.

---

(١) راجع كتاب المؤلف: المسيح في مصادر العقائد المسيحية – ص٣٤، ٢٧٩ – مكتبة وهبة – القاهرة.

وقد اتخذ قسطنطين – الوثني آنذاك- صفة عالم اللاهوت، وتدخل في المناقشات وتوجيه القرارات لتكون حصيلتها: تقرير ألوهية المسيح، وأنه من جوهر الله، وأنه قديم بقدمه، وأنه غير مخلوق – ثم إدانة آريوس وأتباعه وإحراق كتبهم.

لقد كانت الآريوسية تمثل بقايا التوحيد في العقيدة المسيحية، فهي تقول بأن: الله الواحد الأحد هو الوحيد الذي لم يولد، وليس له معادل أو مكافئ على الإطلاق.

وبالنسبة لجوهر المسيح فإنه تبعا لذلك لا يمت بأدنى صلة لجوهر الله، وإنما هو كائن مستقل ومنفصل تماما ومختلف عن الجوهر أو الطبيعة الإلهية، ومثله مثل كل المخلوقات العاقلة له مشيئة حرة ومعرض للتغيير.

لقد فرضت عقيدة مجمع نيقية على المسيحيين فرضا يؤيدها سلطان قسطنطين رغم مخالفتها لما كان يؤمن به الكثيرون من الأساقفة وعامة الشعب في فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر التي كان فيها أشياع أقوياء لآريوس وخاصة في الإسكندرية وأسيوط.

٧ـ لم يكن مجمع نيقية خاتمة المطاف، بل إنه كان بالأحرى مقدمة لسلسلة طويلة من المجامع الكنسية التي عقدت في فترات متلاحقة، أدان أغلبها قرارات مجمع نيقية وقبل عقيدة آريوس، كما حدث في مجمع ريمنى الغربي ومجمع سلوقية الشرقي اللذين عقدا عام ٣٥٩، وقد أيد كلاهما الآريوسية كل التأييد، وأصبحت الكنيسة الغربية كلها آريوسية. ولقد ثبتت هذه العقيدة في مجمع القسطنطينية عام ٣٦١، وقام الآريوسيون بنشرها في أنحاء العالم.

٨- لكن هذا الحال لم يلبث أن تبدل حين ولى الحكم أباطرة وثنيون ارتدوا عن المسيحية، مثل يوليانوس الذي أغلق الكنائس ونهبها ثم سلمها للوثنيين وجاهر بعبادة الأوثان. ثم خلفه يوبيانوس الذي تولى عام ٣٦٣ وكان معاديا للآريوسية، فاعتنق مذهب أثناسيوس الذي يقوم على التثليث، ثم أجبر الشعوب على اعتناقه.

وهكذا فرضت عقيدة الثالوث على مسيحيي الإمبراطورية الرومانية، وباتت هي الصورة التقليدية التي تقدم بها المسيحية إلى العالم، رغم وجود طائفة من الموحدين المسيحيين تجاهد عبر القرون للحفاظ على بقايا التوحيد في مسيحية المسيح الحقة[1]

---

(١) راجع كتاب المؤلف: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون. مكتبة وهبة – القاهرة.

الفصل الرابع

كيف انتشرت المسيحية في الإمبراطورية الرومانية؟

ولد المسيح في فلسطين وهي آنذاك ولاية رومانية، وولدت دعوته في ظل أكبر إمبراطورية عرفها العالم القديم هي الإمبراطورية الرومانية، التي كانت تشتمل على ما كان يعرف آنذاك بالعالم المتحضر، وتضم بين حدودها المترامية أمما وشعوبا مختلفة الأصول والطبائع والعقائد والأفكار، وحدتها قبضة روما القوية، وحكمها القانون الروماني.

ويهمنا – كمدخل لدراسة هذا الموضوع – أن نتعرف على العقائد والأفكار الدينية التي كانت تموج بها الإمبراطورية الرومانية، قبل أن تصير المسيحية هي الدين الرسمي لتلك الإمبراطورية.

العقائد الدينية في العالم الروماني:

لقد كانت عقائد ذلك العالم وثنية عرف أغلبها بديانات الطقوس السرية، تنبع الواحدة منها إقليميا ثم لا تلبث أن تنتشر هنا وهناك، مع ما يصاحب ذلك الانتشار في أغلب الأحيان من تطور للخرافات التي تقوم عليها.

وقد يحدث أن تحتل واحدة من تلك العقائد مركز الصدارة في العالم الروماني، بعد أن تكون قد امتصت غيرها من العقائد الأخرى، وذلك لما بينها من أصول مشتركة وملامح متشابهة. وفيما يلي عرض مركز لأهم المعبودات الوثنية في العالم الروماني، وما قامت عليه عباداتها من خرافات.

سيبيل وأتيس: كانت سيبيل أقدم معبودة في آسيا الصغرى، عرفت بالأم الكبرى أو أم الأرض، **وكانت طقوسها الدينية تحكي كل عام «الموت ثم إعادة الحياة لرفيقها الفتى أتيس،** إله الأشياء التي تنمو ثم تموت سنويا.. ولقد أدخلت عبادة سيبيل مبكرا ضمن العبادات الرومانية منذ عام ٢٠٤ ق.م، وكانت تمثل أطول وأعقد مهرجان شهده العالم القديم، موقظة الآمال في الخلود إلى حمى الإثارة.

ويبدأ المهرجان بصيام سبعة أيام، ثم موكب براق تحمل فيه شجرة صنوبر مقطوعة حديثا كرمز لأتيس الميت. وبعد يوم النحيب يأتي يوم الدم، وفيه يقوم الكهنة بجلد أجسادهم وتمزيقها.. وبعد كثير من الصوم والحداد يعلن: لقد جاء الخلاص للإله.. ونحن أيضا بعد كدحنا سوف نجد الخلاص..

وعلى خلاف ديونيس، فإن أتيس ليس إلها منفردا، بل إنه متحد مع إلهة الأرض»[1]

أوزوريس وايزيس:

يعتبر أوزوريس محور الديانة المصرية القديمة، فقد جاءت قصته وعلاقته بالحياة والموت لتجعله يحتل مكان الصدارة بين الآلهة المصرية. وتمثل أسطورته «قصة ملك طيب قتله أخوه الشرير (ست)، فأحضرت زوجته (إيزيس) جثته ونجحت في أن ترد إليه الحياة ولكن بصورة ليست كاملة. ثم عكفت على تربية ابنه (حوريس الذي حملت به بطريقة عجيبة) في كتمان مطلق، حتى إذا ما ترعرع وصلب عوده انتصر على قاتل أبيه وجلس على عرشه..

والآن (يقول الأثري الألماني أدولف ارمان): ما هي العوامل التي أكسبت أسطورة أوزوريس كل هذه القوة؟

العامل الأول كان بلا شك هو الاعتقاد بأن الاستبداد والتعسف ليساهما القوتان اللتان تسودان العالم، بل الحق والإخلاص.

ثم العامل الثاني كان الاعتقاد بانتصار الإله المقتول على الموت. فمع أنه مات حقا، إلا أنه استرجع الحياة»[2]

---

(1) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961 : ص١٩٢-١٩٣

(٢) ديانة مصر القديمة: أدولف إرمان – ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، والدكتور محمد شكري – مكتبة البابي الحلبي – القاهرة: ص٨٠

وتذكر المصادر المصرية القديمة أن أوزوريس تقدم أمام الآلهة المجتمعين في القاعة الكبرى بهليوبولس «للدفاع عن تهم وجهها إليه ست وأعداؤه الآخرون.. فحكمت المحكمة على ست **وأعلنت نصر أوزوريس الذي وضع قدمه فوقه، ثم ارتفع أوزوريس إلى السماء حيث حكم هناك**»[١].

ولقد تعرضت أسطورة أوزوريس على مر العصور لتعديلات كثيرة، بالإضافة أو الحذف أو كليهما معا، شأنها شأن كل الأساطير الدينية القديمة. وفي إحدى صيغها الحديثة التي ترجع إلى العصر اليوناني، نجد بلوتارك يقول: «**عند ولادة أوزوريس ارتفع صوت من معبد طيبة معلنا أن الملك العظيم الخير قد ولد.** وعندما استولى على السلطة عنى بالناس، وغير الطريقة البدائية في الحياة التي كان الناس قد ألفوها من قبل حتى ذلك الوقت.. وعلمهم كيف يعبدون الآلهة ويقدسونها. **وأخذ يجوب البلاد جميعها دون حاجة إلى حرب وكان لا يجتذب الناس إلا بالتلطف والإغراء والموسيقى**.. بيد أن تيفون (ست) الذي كان يتقد صدره بالغيرة دبر مؤامرة ضد أوزوريس، **اشترك فيها اثنان وسبعون رجلا**، وأخذوا في تنفيذها عقب عودة أوزوريس، فقد صنع صندوقا رائعا بحجم أوزوريس تماما وعرضه **خلال مأدبة**، ووعد بإهدائه لمن يستطيع أن يملأه تماما. فلم يوافق الصندوق أحدا، إلى أن جاء الدور على أوزوريس فنام فيه. وعندئذ أسرع في الحال أتباع ست المتآمرون ووضعوا الغطاء وأغلقوه بالمسامير، وألقوا الصندوق في النيل، وظل عائما حتى بلغ البحر.

وعندما اختفى أوزوريس هكذا حزنت عليه إيزيس حزنا عظيما، وأخذت تجوب البلاد بحثا عنه.. ولقد علمت إيزيس بأن الصندوق قد جنح إلى شاطئ فينيقية.. ونبتت شجرة نمت بسرعة واحتوته في داخلها»[٢]

---

(١)ديانة مصر القديمة: أدولف إرمان – ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، والدكتور محمد شكري – مكتبة البابي الحلبي – القاهرة: ص٨٨

(٢)ديانة مصر القديمة: أدولف إرمان – ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، والدكتور محمد شكري – مكتبة البابي الحلبي – القاهرة: ص٩٨،٩٩

obeikandi.com

هذا.. وقد انتشرت عبادة إيزيس في الإمبراطورية الرومانية بل وما وراءها «ومنذ القرن الأول قبل الميلاد وما بعده حتى انتصار المسيحية بعد أربعمائة عام، **كانت عبادة إيزيس هي الغالبة في العالم الإغريقي الروماني. ولعلها الديانة الوثنية الوحيدة التي أصبحت عالمية**»[1]

«وكثيرا ما كانت الآلهة المصرية تمتزج بالآلهة اليونانية، فهذه إيزيس قد غدت نميزس، وديكايوسيني، ونيكي، وهيجييا. وفي ديلوس غدت تسمى إيزيس – سوتيرا.. وشقت الآلهة المصرية فضلا عن ذلك طريقها إلى أبعد من ذلك غربا، أي إلى إيطاليا الجنوبية ثم روما.. وقد أخذت الديانة المصرية تنتشر كذلك بين الطبقات العليا من الشعب. وليس في هذا ما يدهش في شيء؛ إذ كانوا جميعا يقاسون نقصا روحيا. فقد غدت الديانة القديمة بالنسبة لهم جميعا شبه ميتة، ولم تستطع الفلسفة التي كان يحاول أن يجد فيها المثقفون عونا لهم، أن تكون لها بديلا كاملا. وبذلك لم يتبق هناك غير شوق كامن للتطلع إلى ما وراء الطبيعة..

لقد كانت الديانة المصرية تقدم لأتباعها عزاء أخيرا في كافة المصائب، وكانت تمنحهم الإيمان بحياة أخرى أفضل يقضونها في مملكة أوزوريس..

وهكذا أقبل الناس في روما على العقيدة الجديدة في حماسة، حتى إنه ليبدو أنها استولت على طوائف بأكملها من الشعب، كأنها حركة دينية عامة، وإلا لما تيسر على الأقل فهم السبب الذي من أجله انتهى الأمر بالدولة أن ترى في عبادة الآلهة المصرية خطرا عليها، فجعلت تدمر من وقت لآخر وباستمرار معابد إيزيس. وقد قامت بذلك خمس مرات في أحد عشر عاما بين ٥٩-٤٨ ق.م، وأخيرا حرم أغسطس بناء شيء منها داخل المدينة بالذات، ولم يكن يسمح بإقامة معابد لإيزيس إلا في أرباضها..

ولم يلبث أن قام في حقول مارس معبد كبير جديد لإيزيس، أقامه هذه المرة أحد الأباطرة وهو كاليجولا، وزاد فيه إمبراطور آخر وهو دوميتان. وبهذا التكريم من قبل

---

(1)Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961 :ص١٩٦

الأباطرة زال كل رجس عن الآلهة المصرية... وبذلك سادت الديانة المصرية العالم، وقد ساهم هادريان كثيرا في هذا التطور..

وإنا لنجد في إفريقيا الشمالية وفي أسبانيا وفي بلاد الدانوب وفي فرنسا وحتى في إنجلترا نفسها، نقوشا تكرم إيزيس.. وهكذا سادت عقيدة إيزيس في كل مكان في أوروبا. وقد كان سلطانها ينمو على الدوام حتى نهاية القرن الثاني، عندما أخذت عقيدة أخرى، هي عقيدة ميثرا الإله الفارسي، تردها إلى الوراء بعض الشيء، على أنها مع ذلك ظلت قائمة طالما كانت تعبد الآلهة الوثنية»[١]

سيرابيس:

اعتقد قدماء المصريين أن روح الإله تسكن الحيوان المقدس في معبده، ومن ثم عبدوا بعض الحيوانات ومن بينها العجل أبيس الذي قالوا إنه روح الإله بتاح.

لقد كان سيرابيس هو الإله الرئيسي في مملكة البطالمة، واعتبر أنه: أوزوريس ـ أبيس.

«ومنذ ذلك الوقت كان سيرابيس هو التسمية الإغريقية لأوزوريس.. أما لدى الشعب فقد أصبح سيرابيس إله الموتى، وزوج إيزيس، وحل تماما محل أوزوريس..

وقد ظل سيرابيس إبان القرون الخمسة التي كانت فيها الإسكندرية عاصمة العالم الكبرى، يعتبر لدى سكانها أنصاف الإغريق هو الإله الأعلى.. وفي عهد تراجان أوفدت بعثة إلى روما، فاصطحبت معها تمثال سيرابيس صانع المعجزات»[٢]

---

(١)ديانة مصر القديمة: أدولف إرمان – ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، والدكتور محمد شكري – مكتبة البابي الحلبي – القاهرة: ص ٤٦٦-٤٦٩، ٤٨٧، ٤٨٨

(٢)ديانة مصر القديمة: أدولف إرمان – ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، والدكتور محمد شكري – مكتبة البابي الحلبي – القاهرة: ص٤٢٧

obeikandi.com

ميثرا:

كان ميثرا معبودا قديما للشعوب الهندوأوربية، ومن المحتمل أن تكون طقوس عبادته قد جاءت إلى الإمبراطورية الرومانية عن طريق فارس. وتحكي الأساطير بدء خلقه «بطريقة عجيبة من صخرة، بالقدرة الخيرة أورمزد (أهورا مازدا) رب الحياة. ولكن لا توجد له شعيرة درامية سنوية، فلا يوجد موت ثم إعادة ولادة سنوية، حيث إن ميثرا قد جدد الحياة وهزم الموت إلى الأبد. ويقف ميثرا في كنف أورمزد، في تعارض أبدى لإله الشر أهريمان رب الموت. وقد نشأ كل من أورمزد وأهريمان من المصدر الأول.. ومن المحتمل أن يكون موردو المثيرية إلى إيطاليا، جنودا وتجارا من أقاليم مختلفة من الشرق.. وخلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد انتشرت عبادة ميثرا في الغرب على نطاق واسع. ومن الطبيعي أن تكون روما كمدينة عالمية كبيرة مكانا لتطورها.. كذلك ازدهرت هذه الديانة في المراكز التجارية والموانى العالمية مثل الإسكندرية وبيريه وقرطاجة ولندن»[1]

الأصول المشتركة للعقائد الوثنية:

من الملاحظ أن تلك العقائد الوثنية التي انتشرت في العالم الروماني وخاصة في فترة القرون الخمسة التي تمتد من أوائل القرن الثاني قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، قد جمعت بينها أصولا مشتركة تقوم على الآتي:

١ـ الإيمان بالإله المخلص الذي يحقق انتصارا على الشر والموت.

٢ـ يحدث الخلاص للمؤمنين «خلال اتحاد شخصي بذلك الإله المخلص، الذي كان يعتقد في حالات كثيرة أنه قد مات ثم قام ثانية بعد الموت»[2]

---

(1) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961: ص٢٠٠، ٢٠٣

(2) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961: ص١٨٢

٣ـ كان ذلك الإله المخلص شابا أو فتى يافعا (أتيس ـ أوزوريس ـ ديونيس) مات ميتة مأساوية تهز المشاعر وتأخذ بالألباب، لكنها لا تلبث أن تتحول إلى مجد يتمثل في انتصاره على الموت، وأحيانا رفعه إلى الآلهة في السماء ليحكم من هناك (أوزوريس).

٤ـ تقوم تلك العقائد الوثنية على التثليث. ويضرب ميخائيل جرانت المثل لذلك من عقيدة إيزيس المتطورة، فيقول: «**إننا نجد إيزيس تمثل الصورة الرئيسية للتثليث المصري، ففيها إيزيس، وأنوبيس** – وهو الإله الذي يقود أرواح الموتى إلى الحياة الأبدية (وعرف بأنه إله الدفن واعتبر ابنا لأوزوريس نزل من السماء) – وسرابيس (وهو التسمية الإغريقية لأزوريس)»[1]

٥ـ تمارس تلك الديانات من خلال طقوس سرية، يقوم الكهنة عن طريقها بالتسلط على الأتباع واختراع مختلف الألاعيب التي تربط العابد بالمعبود. فرغم التقدم العلمي المحدود في تلك الحقبة من الزمن، وجد «أن طبقة الإكليروس قد استخدموا كل شعيرة درامية تساعدهم، وكانوا مهرة في إنتاج أعاجيب المعبد التي توحي بالرهبة وتوقع المشاهدين في إرباك، وذلك باستخدام الحيل والأساليب العلمية.. فقد استخدم السيفون في تحويل الماء خمرا. وعندما يدخل جماعة المصلين المعبد فإن مجموعات من المنافيخ الهيدروليكية التي صممت بمكر كانت تحدث أصوات نفخ في البوق، وتزيد في إشعال نار المذبح. وكانت القدرة المتزايدة للهواء الساخن الذي نشأ عن التقدمات المحترقة تستخدم في فتح باب الحرم المقدس، وفي تحريك تمثال الإله إلى الأمام لكي يحيى عابديه. كذلك استخدمت صنوف من المؤثرات الضوئية المتطورة، مثل عمل إضاءة داخلية للتماثيل لكي تعطي إشعاعا لأعينها المجوفة وتيجانها. وبطريقة ما فإن تمثالي آريس (مارس) وأفروديت (فينوس) قد تحركا ليلتصقا بغية التزاوج. ولا يزال موضع جدل ما إذا كانت تلك الحركة قد حدثت باستخدام المغنطيسية أو بحبال مخفاة»[2]

---

(1) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961 ص ١٩٩

(2) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961 ص١٩١

وعلى ضوء هذا يمكن لإنسان العصر الحديث أن يفهم كيف كان السذج والبسطاء في تلك القرون يؤمنون بإمكانيات تلك المعبودات الوثنية في تقديم معجزات وعجائب. ولقد حدث أن زار الإمبراطور هادريان مصر، وأثناء الرحلة غرق في النيل أنطنيوس حبيب الإمبراطور، وكان عمره عشرين عاما «فرأى هادريان أن أقصى ما يؤدي من شرف لهذا الصبي المسكين هو أن يرفع إلى مصاف شركاء آلهة مصر. وكان مثل هذا التأليه أمرا قريب الاحتمال وذلك لأن الغرقى في النيل كانوا يعتبرون من القديسين.. وفي القرن الثالث كان أنطنيوس في مصر إلها يبالغ في تمجيده كثيرا، لأنه كان يشفى المرضى ويصنع العجائب»[1]

ولقد قيل إن أنطنيوس أسلم حياته في النهر المقدس لكي يفدى الإمبراطور ويرد التنبؤات الخاصة بموته «وعلى الفور **عبد أنطنيوس كإله مخلص متجسد** بين طوائف الشرق المشحونة بالعاطفة الدينية.. وقد اخترعت طقوس درامية تتضمن تمثيلية تمثل آلام **أنطنيوس.. وموته الشابة، ثم قيامته المجيدة وسروره الدائم**»[2]

مراحل انتشار العقائد الوثنية:

١ـ تبدأ العقيدة محلية، ثم لا تلبث أن تنتقل إلى الأماكن الأخرى، وقد ساعدها على ذلك، الوحدة السياسية للإمبراطورية الرومانية، ثم الحركة الدائبة داخل حدودها والتي تتمثل غالبيتها في التبادل التجاري والحملات الحربية. وعند عودة التجار والجنود إلى أوطانهم الأصلية، تكون هذه العقيدة أو تلك من جملة ما حملوه معهم.

٢ـ كانت السياسة العامة للسلطة في روما تجنح إلى عدم التدخل في المسائل الدينية إلا عند الشعور بتأثيرها على النظام العام والاستقرار السياسي. ولقد حدث «في عام ١٨٦ ق.م.

---

(١) ديانة مصر القديمة: أدولف إرمان – ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، والدكتور محمد شكري – مكتبة البابي الحلبي – القاهرة: ص٤٧٩ ، ٤٨٠

(2) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961 ص١٩٩ – ٢٠٠

أن شعر مجلس الشيوخ الروماني بالخوف من توريد عبادة ديونيسس إلى روما وتهديدها للنظام العام، مما دفعه إلى اتخاذ إجراءات الكبت»[1]

٣ـ لكن مثل تلك الإجراءات لم تكن لتحد من انتشار تلك العقيدة الدينية «التي سارت كالطوفان في العالم الروماني. وفي زمن قصير تحولت إلى واحدة من ديانات الطقوس السرية التي تحظى بالاعتبار»[2]

وإذا كان بعض الأباطرة قد حارب عقيدة ما، كما فعل أغسطس (٢٧ق.م -١٤م) مع عقيدة إيزيس، فلم تلبث هذه العقيدة أن اكتسحت – خلال عشرات السنين - الإمبراطورية وحاكمها الإمبراطور، كما حدث لكاليجولا (٣٧-٤١م)، ودومتيان (٨١-٩٦م)، وهادريان (١١٧-١٣٨م).

عوامل انتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية

يرجع انتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية إلى عاملين رئيسيين؛ يعتبر كل منهما محصلة لمجموعة من العوامل الأخرى الفرعية. وهذان العاملان هما: عامل داخلي، يرجع إلى المسيحية كديانة تقوم على معتقدات وطقوس ظهرت في زمن معين وكانت تشابه وتضاهي كثيرا من ديانات ذلك الزمن ثم عامل خارجي، يرجع إلى الظروف والقوى التي أحاطت بالمسيحية منذ مولدها وأثرت في تطورها وحركتها التاريخية، وهو بزوغها في ظل الإمبراطورية الرومانية. وفيما يلي عرض لهذين العاملين وما احتواه كل منهما من عوامل فرعية.

---

(1) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961 ص١٨٦

(2) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961 ص١٨٦

openkanal.com

التشابه بين المسيحية الصليبية وديانات العالم الروماني:

يوجد إجماع بين الباحثين على أن هناك تشابها قويا بين المسيحية الصليبية – مسيحية بولس ـ وبين غيرها من ديانات العالم الروماني التي كانت منتشرة آنذاك، وعاصرت مولد تلك الديانة الجديدة، سواء من ناحية المعتقدات والأفكار، أو نواحي العبادات والطقوس التي تعكس تلك المعتقدات.

يقول هربرت فيشر: «استدار العالم الروماني بشغف زائد إلى عبادات الشرق الملتهبة، مثل عبادات إيزيس وسيرابيس وميثرا.. **إن عباد إيزيس المصرية، وسيبيل الفريجية، وميثرا الفارسي، اشتركوا في معتقدات كثيرة وجدت بعد ذلك في النظام المسيحي.**

لقد اعتقدوا في اتحاد سرى مقدس مع الكائن الإلهي، إما عن طريق اقتران خلال الشعائر،أو بطريقة أبسط عن طريق أكل لحم الإله في احتفال طقسي..

لقد كان الإله الذي يموت بين العويل والمراثي، بيد أنه يقوم ثانية وسط صيحات الترحيب والسرور، من الملامح الرئيسية في هذه العبادات الشرقية الغامضة..

ولقد بنى ماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠م) معبدا لميثرا فوق تل الفاتيكان، وجعل أورليان (٢٧٠-٢٧٥م) عبادة الشمس دين الدولة الرسمي.

ويكتب دين انجى قائلا: **إن عبادة إيزيس قد نظمت بطريقة تماثل تماما ما في الكنيسة الكاثوليكية.** لقد كان هناك نوع من البابا مع القسس والرهبان والمغنين وخدم الكنيسة. وكانت صورة السيدة ترصع بجواهر حقيقية أو مزيفة، وكانت زينتها تعمل كل يوم، كما كانت صلاة الصبح وأغاني المساء تغنى في معابدها الرئيسية، وكان الكهنة حليقي الرؤوس ويلبسون ملابس كهنوتية بيضاء من الكتان.

قبل أن تصير روما مسيحية فإنها صارت كهنوتية: مدينة للمعابد والصور، ذات كهنة ومواكب واحتفالات دينية.. وتحت حكم دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) عندما كفت روما عن أن تكون عاصمة سياسية، لم يكن من الصعب التنبؤ أنه يوما ما فإن مكان الإمبراطور الغائب سوف يشغله كاهن روماني..

إن التحول من الوثنية إلى المسيحية لم يكن يعني الدخول في جو غريب كلية، أو ممارسة ثورة فجائية. لقد كانت عملية التحول تتم بلطف..

وكانت طقوس العقيدة الجديدة استرجاعا للأسرار القديمة.. فقد كانت عقيدة الوسيط مألوفة في معتقدات الفرس وأتباع الأفلاطونية الحديثة.

وكانت فكرة التثليث معتقدا دينيا شائعا، تنبع أساسا مما تعارفوا عليه من أن العدد ثلاثة كان هو العدد الكامل.. وما كانت فكرة الدينونة بكل عواقبها المرعبة حكرا على العقيدة المسيحية، فقد كان المؤمنون بميثرا وعلماء الرواقية تجمعهم فكرة واحدة وهي أن العالم على وشك أن يهلك في السعير»[1]

ويقول ميخائيل جرانت: «من السهل أن نشير إلى أوجه التشابه بين المسيحية وديانات الطقوس السرية في العالم الروماني الإغريقي الذي انبثقت منه وجاءت لتلبي نفس المطالب.. **إن العبادات المسيحية والوثنية كانت تلبي مطالب متشابهة.**

وربما كان تأثير ديانات الطقوس السرية على القديس بولس طفيفا – ولو أنه نادرا ما هرب من مصطلحاتها الخاصة والتي كانت مستخدمة في اليهودية المعاصرة له – لكن تابعيه تأثروا بها بقوة، كما فعل القديس اجناتيوس مطران أنطاكية الذي كتب عن كسر الخبز كدواء للخلود.

وبتطبيق العادة المألوفة من دمج الديانات المختلفة معا، فإن عبادات على هوامش المسيحية قد اندمجت مع عناصر مما في ديانات الطقوس السرية..

ونجد في آسيا الصغرى – في القرن الثاني- أن الناسيين والمونتانيين قد وحدوا المعتقدات المسيحية مع تبجيل أتيس أو اقتباسات من ديانته. كما نسمع عن بعض أهل الإسكندرية الذين عبدوا يسوع وسرابيس»[2]

---

(1) H.A. FISHER: A HISTORY OF EUROPE, THE FONTANA LIBRARY, LONDON, 1964 ص١٠٢، ١٠٣، ١١٥

(2) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961 ص٢٠٧

ويقول أرنست كيللت: «**إن أوجه التشابه المحيرة بين شعيرة التعميد في المسيحية – على سبيل المثال– وبين طقوس التطهير في ديانة أتيس وأدونيس، لتصدم كل دارس.** لقد أظهرت الديانة المسيحية قدرة ملحوظة في جميع العصور على الأخذ لنفسها ما يناسبها من الديانات الأخرى.إن كثيرامن عبارات بولس يصعب شرحها إلا على فرض أنه قد قبل عن طيب خاطر تلميحات من هذا النوع.

ولسوف أعطي هنا ملخصا لأسطورة أتيس وطقوس عبادته، لأن هذا لم يؤثر فقط بعمق في المسيحية، بل لأنه كان منتشرا في أغلب أجزاء الإمبراطورية الرومانية.

لقد حدثت قيامة أتيس في يوم الخامس والعشرين من مارس، بدء الربيع، وهو نفس اليوم الذي قام فيه المسيح من الأموات حسب أقوال كثير من المسيحيين، وهو نفس اليوم الذي أتم الله فيه خلق العالم حسب التقاليد اليهودية.

لقد كان أتيس شابا من فريجية، ابن الأم الكبرى سيبيل، ولد من عذراء حملته بوضع لوزة ناضجة في ثديها.. وحسبها جاء في إحدى الروايات فإنه قتل مثل أدونيس[1] **كذلك فإن التشابه بين الطقوس السرية لديانة ميثرا والمسيحية مذهلة**. وهي محيرة فعلا لدرجة أن السبب الوحيد الذي أعطاه آباء الكنيسة تبريرا لذلك، كان قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح..

وفي رأيي، على أي حال، أنه من المتسحيل الاعتقاد بأن هذا التشابه جاء عرضا، فلابد أن تكون واحدة قد استعارت من الأخرى، أو أن يكون الارتباط متبادلا.

إن الميثرية لها طقوسها المتعلقة بالعشاء الرباني، ومن الصعب التفريق بينها وبين ما في عقيدتنا (المسيحية)، ولها احتفالات تماثل احتفالات عيد الميلاد، ولها عيد القيامة..

---

(١) راجع بقية الطقوس ص ٥٨،٥٩

إن كلا من الميثرية والمسيحية -كما يقول هرنك- شرقية الأصل، وقد دخلت الإمبراطورية (الرومانية) في حوالي نفس الزمان، وقد اجتذبت بالتساوي الطبقات الدنيا في الناس، وكان بينهما اتفاق في عدة وجوه هامة»[1]

مما سبق يتبين أن المسيحية التقليدية – مسيحية بولس الصليبية - تشارك الديانات التي سادت في الإمبراطورية الرومانية أصولها المشتركة، وفي مقدمتها الإيمان بالإله المخلص الذي عاش إنسانا بين البشر، ثم قتل شابا، لكنه قام ثانية بعد الموت وانتصر عليه.

كذلك تشارك المسيحية تلك الديانات القديمة لب عقائدها الذي يقوم على الثليث.

تقول دائرة المعارف الأمريكية: «إن عقيدة التثليث هي العقيدة المسيحية التي تقوم بالطبيعة الثلاثية للإله. **وهي عقيدة ليست من تعاليم العهد القديم، ولا توجد في أي مكان بين ثناياه.**

إن العقيدة التي تختص بالطبيعة الإلهية، والتي يحرص عليها بشدة في كل مكان بين دفتى العهد القديم، هي توحيد الله، وهي الشيء الذي يخالف عقيدة تعدد الآلهة..

ولقد كان من بين التعريفات التي نتجت عن الصراع بين وجهات النظر في الكنيسة الأولى فيما يختص بعقيدة التثليث، تلك التي تبنتها الكنيسة الكاثوليكية، وهي التي يتقبلها المسيحيون التقليديون بوجه عام.. ذلك أنه فيما يتعلق بالألوهية توجد ثلاثة أقانيم، واحدة في الجوهر ومتماثلة في الأزلية ومتساوية في القدرة هي: الآب،والابن، والروح القدس. وعلى أي حال فقد جاء ذلك بعد صراع عنيف أخذ وقتا طويلا.. إلا أن انشقاقا كبيرا حدث في الكنيسة. ذلك أن الكنيسة الشرقية تعتقد بأن الروح القدس ينبثق من الآب، بينما تعتقد الكنيسة الغربية بأن الروح القدس ينبثق من الآب والابن.

---

(1) Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961 ص ١٣٠، ١٣١، ١٩٣، ٢٦٢

إن كلمة: تثليث، ليست من نصوص الكتب، وإن كلمة: أقانيم، ليس لها استعمال في الأسفار. ولكن يبدو أن شيئا شبيها بإدراك معنى الأقنوم قد فهم ضمنا في محاورات الرسل في رسائلهم»[١]

وإذا كان التثليث شائعا في الديانات الوثنية القديمة، فقد كان السمة البارزة في ديانة إيزيس التي اكتسحت الإمبراطورية الرومانية، وكانت هي الديانة الوثنية التي أصبحت عالمية، إلى أن احتلت المسيحية مكانها.

ولا يقتصر التشابه بين المسيحية وغيرها من تلك الديانات القديمة على المشاركة في الأساسيات، إنما هو يتعداها إلى الفروع والحواشي والصور والرموز.

يقول أدولف أرمان: «في مساكن العصر الروماني نجد بين تماثيل الآلهة من الصلصال أشكالا صغيرة متنوعة لإيزيس، كانت تعتبر عند العامة من الناس تماثيل مقدسة، وكثيرا ما كانت تزود بمصابيح تضاء في عيد المعبود تكريما له. **وفي هذه التماثيل يتجلى الجانب الإنساني في إيزيس، فقد كان يستحب تمثيلها مع رضيعها وهي تعطية ثديها، في وضع يذكر في بعض الأحيان بتماثيل السيدة العذراء، بما يثير الدهشة**[٢]

حقا إن «التحول من الوثنية إلى المسيحية لم يكن يعني الدخول في جو غريب كلية، أو ممارسة ثورة فجائية.. وكانت طقوس العقيدة الجديدة استرجاعا للأسرار القديمة».

لقد كان ذلك التحول يمثل الانتقال من حجرة إلى حجرة – ربما كانت أوسع أو بها منفذا يعطي راحة وأملًا- ولكنها قبل ذلك كله وبعده لا تعدو أن تكون حجرة في نفس البيت. فكل تلك الديانات أقامت بيتها على عقيدة الوسيط، الإله المخلص المقتول، الذي يقوم ثانية بعد الموت. وقد ارتبط ذلك الإله المقتول ببقية شركة الآلهة المتحدة برباط التثليث.

---

(1)ENCYCLOPEDLA AMERICANA 1959 ج٢٧ – ص ٦٩

(٢)ديانة مصر القديمة: أدولف إرمان -- ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، والدكتور محمد شكري – مكتبة البابي الحلبي- القاهرة ص ٤٣٤

obeikandi.com

من أجل ذلك انتشرت المسيحية في العالم الروماني انتشارًا مستمرًا، لم يقطعه على فترات سوى مكايد اليهود واضطهاد بعض الحكام، كما سنرى فيما بعد.

تسهيلات الإمبراطورية الرومانية للمسيحية:

لقد أجمع الباحثون -كذلك- على أن مولد المسيحية في حضن الإمبراطورية الرومانية كان خير عون لها على الظهور والانتشار.

يقول أرنست كيللكت: «**إنها ملاحظة مألوفة في التاريخ أن المسيحية وجدت الطريق قد مهدته لها الإمبراطورية الرومانية**، الواسعة، الهادئة، الجيدة التنظيم.

لقد كان تدبير العناية الإلهية أن يسوع ولد في أيام أغسطس.. **إن الظروف التي وجدها بولس كانت مواتية تماما لعمله التبشيري** والتي كانت تتمثل في وجود حكام رومانيين يحفظون النظام، وفي الطرق الجيدة، والبحار التي لا يخشى فيها سوى العواصف (بعد أن قضى على القراصنة). لقد كان مرجع هذا كله إلى العمل الرائد لأغسطس، والعدالة المقسطة لتيبربوس، والتقاليد التي أرسياها.

وعلى أي حال، فإن قوة روما الإمبراطورية الوحيدة، حين كانت تعمل قسرا على الوحدة في الشئون الدنيوية، بطرقها السهلة وممراتها البحرية وتعريف شعب بآخر، فإنها قد ساعدت كذلك على نمو فكرة الوحدة في الدين..

وعندئذ، يكون من الطبيعي أنه في أزمنة الإمبراطورية، وليس قبلها، نلاحظ ظهور ديانات ترفع بحزم لواء الدعوة إلى العالمية. ولقد كانت المسيحية أهم هذه الديانات، بيد أنها لم تكن الديانة الوحيدة»[1]

ويقول إدوارد جيبون «**لقد لوحظ بصدق أن الفتوحات الرومانية قد هيأت الطريق أمام المسيحية وسهلت نشرها**.. إن أكثر المقاطعات تحضرا في أوروبا وآسيا وإفريقيا كانت قد

(1) E.E Kellet: A short history of religions, penguin books, London, 1962 ص ٩٩، ١٠٠

اتحدت تحت حاكم واحد، وبدأت ترتبط تدريجيا بأقوى روابط التآلف، من قوانين وأساليب ولغة..

إن الطرق الرئيسية التي أنشئت لتستخدمها فيالق الجنود، قد فتحت ممرًا سهلًا للمبشرين المسيحيين، من دمشق إلى كورنثوس، ومن إيطاليا إلى أقصى أسبانيا وإنجلترا. ولم **يواجه هؤلاء الغزاة الروحانيون أي عقبات من تلك التي عادة ما تؤخر أو تمنع تقديم عقيدة جديدة إلى بلد بعيد.**

ولدينا أقوى البواعث على الاعتقاد بأنه قبل عهد دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) وقسطنطين (٣٢٣-٣٣٧م) فإن عقيدة المسيح قد بشر بها في كل مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، وفي كل مدنها الكبيرة»[1]

من الواضح – إذن- أن المسيحية كديانة جديدة ولدت في صدر القرن الأول الميلادي، قد أخذت فرصتها كاملة في الدعوة بين الناس، بعد أن مهدت لها الإمبراطورية الرومانية الكثير من سبل التقديم والوصول إلى مختلف صنوف البشر، ومن ثم استطاعت أن تنتشر ويزداد من حولها الأتباع والأدعياء.

لقد مرت المسيحية بالمراحل التي مرت بها سابقاتها من الديانات التي شاعت في العالم الروماني. وإذا كان بعض الأباطرة قد حارب المسيحية كما فعل نيرون (٥٤-٦٨م)، ودكيوس (٢٤٩-٢٥١م)، ودقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م)، ثم ما لبثت أن حمل لواءها واحد من خلفائهم هو قسطنطين الذي جعلها دين الدولة الرسمي، فلقد حدث نفس الشيء لديانة إيزيس التي حاربها أغسطس، ثم ما لبثت أن اكتسحت الإمبراطورية وحكامها من أمثال كاليجولا، ودومتيان، وهادريان.

---

(1) E.GIBBON: THE DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1960 ص ١٨١، ١٨٢

حقيقة ما يقال عن اضطهاد الرومان للمسيحية:

إن الاضطهاد الذي واجهته المسيحية كديانة وليدة، كان يهوديا، فتلك حقيقة أولية سجلتها الأسفار المسيحية، وخاصة سفر أعمال الرسل الذي يحكي النشاط التبشيري لتلاميذ المسيح ومن دخل في زمرتهم خلال الثلاثين عاما التي أعقبت رحيل صاحب الدعوة. وفيما يلي نماذج لبعض ما تحكيه الأسفار المسيحية عن الاضطهاد اليهودي للمسيحية.

ونبدأ بما حدث لبطرس ويوحنا، اللذين بينما كانا «يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب.. فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى غد.. **فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع..** وبعد ما هددوهما أيضا أطلقوهما – أعمال الرسل ٤: ١-٢١».

كذلك عانى بقية التلاميذ من ذلك الاضطهاد اليهودي، فقد «جرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب.. فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيون وامتلأوا غيرة. **فألقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة.. وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم.. ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم** – أعمال الرسل ٥: ١٢-٤٠».

ولقد كانت المؤامرة على استفانوس، يهودية، فقد «دسوا لرجال يقولون إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله. وهيجوا الشعب والشيوخ والكتبة فقاموا وخطفوه وأتوا به إلى المجمع. وأقاموا شهود كذبة يقولون هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاما تجديفا..

فصاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة. وأخرجوه خارج **المدينة ورجموه** – أعمال الرسل ٦: ١١-١٣، ٧: ٥٧-٥٨.»

وبمجرد أن أعلن بولس تحوله إلى المسيحية «**تشاور اليهود ليقتلوه**.. وكانوا يراقبون الأبواب أيضا نهارا وليلا ليقتلوه. فأخذه التلاميذ ليلا وأنزلوه من السور مدلين إياه في سل – أعمال الرسل ٩: ٢٣-٢٥».

ثم كان ما فعله هيرودس الملك اليهودي الصغير بتلاميذ المسيح، **فقد مد «يديه ليسيء إلى أناس من الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف. وإذا رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس أيضا.** ولما أمسكه وضعه في السجن.. ناويا أن يقدمه بعد الفصح إلى الشعب.. (وبعد هرب بطرس) طلبه فلم يجده فحص الحراس وأمر أن ينقادوا إلى القتل – أعمال الرسل ١٢: ١-١٩».

وعلى عكس ما سبق، كان سلوك الحاكم الروماني – غير اليهودي- غاليون. إزاء شكوى اليهود ضد بولس. فقد وقف على الحياد أولا، طالما أن الأمر يتعلق بمعتقدات الناس الدينية، وذلك تطبيقا لسياسة روما في مثل تلك الأمور، ثم ما لبث أن وقف ضد اليهود بعد ذلك:

«لما كان غاليون يتولى أخائية، قام اليهود بنفس واحدة على بولس وأتوا به إلى كرسي الولاية. قائلين إن هذا يستميل الناس أن يعبدوا الله بخلاف الناموس. وإذ كان بولس مزمعا أن يفتح فاه، قال غاليون لليهود: لو كان ظلما أو خبثا رديا أيها اليهود، لكنت بالحق قد احتملتكم. ولكن إذا كان مسئلة عن كلمة وأسماء وناموسكم، فتبصرون أنتم، لأني لست **أشاء أن أكون قاضيا لهذه الأمور. فطردهم من الكرسي.**

فأخذ جميع اليونانيين سوستانيس رئيس المجمع وضربوه قدام الكرسي ولم يهم غاليون شيء من ذلك. وأما بولس فلبث أيضا أياما كثيرة ثم ودع الإخوة وسافر في البحر إلى سورية -أعمال الرسل ١٨: ١٢-١٨».

وأخيرا نأتي إلى تقرير بولس الشهير في بني جلدته من اليهود، إذ يصفهم بأنهم قتلة الأنبياء، وأعداء الإنسانية، ويمنعون التبشير بالمسيحية:

obeikandl.com

«اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم، **واضطهدونا نحن.** وهم غير مرضين الله، وأضداد لجميع الناس. **يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا،** حتى يتمموا خطاياهم كل حين. **ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية** – (١) تسالونيكي ٢: ١٤-١٦».

مما سبق يتبين أن اليهود هم الذين حملوا لواء الاضطهاد ضد المسيحية.

وفي حديث عن حقيقة ما يقال عن اضطهاد الحكام الرومان للمسيحية – قبل أن تصبح دين الدولة الرسمي- وما نسج حوله من أقاصيص، وما ذكر عن عدد الشهداء من أرقام اتسمت بالمبالغات، يقول المبشر الإنجليزي ستيفن نيل:

«يجب ألا ننساق مرة أخرى إلى المبالغات الخرافية. فمما لاشك فيه أن المسيحيين في ظل الإمبراطورية الرومانية قد حرموا حق الحياة، وكانوا معرضين لأقصى ضغط يسمح به القانون. **ولكن** من الواضح أنه في مقابل ذلك بوجه عام، **فإن المأمورين القضائيين لم يكونوا مولعين بالانتقال فورا إلى الإجراءات القاسية،** فهم غالبا ما فعلوا أقصى ما يمكنهم لتحريض المسيحيين على إنقاذ أنفسهم بالاستجابة للمطالب البسيطة للقانون. وأنه – حتى زمن حدوث الاضطهاد المنظم الذي أمر به دكيوس (٢٤٩-٢٥١م) في منتصف القرن الثالث – عندما اشتعل الاضطهاد، فإنه كان استجابة لمطلب شعبي بدلا من اعتباره نتيجة لحملة خططت لها السلطات الحاكمة..

إن كل مسيحي كان يعلم أنه، عاجلا أو آجلا، قد يلزمه البرهنة على إخلاصه لعقيدته بدفع حياته ثمنا لها. **ولكن لم يحدث أن تعرضت أية كنيسة لاضطهاد مستمر وقاس مدة طويلة من الزمان، وإن عدد الشهداء كان أقل بكثير مما تخيلته العصور الأخيرة»**[1]

ويقول جيبون: «يجب الاعتراف، على أي حال، بأن سلوك الأباطرة الذين أظهروا أقل مودة تجاه الكنائس المسيحية الأولى، لا يمكن اعتباره مطلقا على مثل ذلك الإجرام الذي

---

(1) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٤٢،٤٣

مارسه الحكام المتحضرون من أعمال البطش والرعب لمقاومة الأفكار الدينية لأي من رعاياهم. إن كلا من شارل الخامس ولويس الرابع عشر، لابد وأن يكون قد حصل على قدر كاف من المعرفة بحقوق الضمير، والالتزام قبل العقيدة، والعفو عن الزلات. لكن الأمراء والمأمورين القضائيين في روما القديمة كانوا غرباء عن هذه المبادئ..

ومن الوجهة العامة لسلوكهم ودوافعهم يمكننا أن نخلص ببساطة إلى الآتي:

١ـ أنه مر وقت طويل قبل أن يعتبروا الطوائف الجديدة (المسيحية) شيئا يستحق الاهتمام من الحكومة.

٢ـ وأنه في حالة اقتناعهم بأن أيا من رعاياهم قد ارتكب جرائم فردية من هذا النوع، فإن إجراءاتهم ضده كانت تتسم بالحذر والتروي.

٣ـ وأنهم كانوا معتدلين في استخدام العقاب.

٤ـ وأن الكنيسة الممتحنة تمتعت بفترات طويلة من السلام والهدوء.

وخلال فترة طويلة من توفى المسيح إلى التمرد (اليهودي) المشهور، فإننا لا نستطيع اكتشاف أي أثر لتعصب روماني، إلا ما وجد في ذلك الاضطهاد الذي حدث بعد خمسة وثلاثين عاما من الأولى، وقبل عامين فقط من الأخير»[1]

ويقول ستيفن رنسيمان: «من المعروف أن الأباطرة الوثنيين اشتهروا بالتسامح مع العقائد المحلية.. ولم يتعرض لمحنة الاضطهاد من حين لآخر سوى المتعنتين من الموحدين أمثال المسيحيين واليهود، على أن الأباطرة المسيحيين لم يبلغوا هذا الحد من التسامح.

فالمسيحية تعتبر ديانة مانعة لا تقبل أن تعيش معها ديانة أخرى، وأراد الأباطرة أن يفيدوا منها باعتبارها قوة موحدة في ربط رعاياهم بالحكومة. فعلى الرغم من أن قسطنطين

---

(1) E.GIBBON: THE DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1960 ص ١٩٩-٢٠١

نفسه لم يعرف من أصول الدين إلا قليلا، فإنه حرص على توحيد الكنيسة التي مزقتها وقتذاك المشكلة الآريوسية»[١]

إن ما يتعلق بأذهان الكثيرين – إلى الآن – عن حجم الاضطهاد الروماني ضد المسيحية، يحتاج إلى وقفة للمراجعة، بعيدا عن المبالغات وأقاصيص الخيال، وخاصة بعد أن عرفنا كيف كان مولد المسيحية في ظل الإمبراطورية الرومانية عاملا رئيسيا في نشرها بين مختلف شعوب هذه الإمبراطورية.

❊❊❊❊

(١) تاريخ الحروب الصليبية: ستيفن رنسيمان – ترجمة الدكتور السيد العريني – دار الثقافة – بيروت: ج١ ص١٩

obeikandl.com